التعريف بالمنهج الإشاري

تعريف الاشارة لغةً واصطلاحاً

الإشارة لغة: بمعنى العَلاّمَة والإيماء، والّذي يعني اختيار أمر من الأمور (من القول أو العمل أو الرأي، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن، كما في الآية ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾. أي اختيار شيء.

والإشارة في الاصطلاح: تعني أنْ يستفاد شيء من الكلام دون أنْ يكون موضوعا له.

والإشارة قد تكون حسّية، كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل (هذا).

وقد تكون ذهنية كالإشارة للمعنى في الكلام، بحيث لو أراد التصريح به للزمه الكثير من الكلام، ثم إنّ الإشارة قد تكون ظاهرة، وقد تكون خفيّة.

وبعبارة أخرى: الإشارة هي من الدلالة الإلتزامية للكلام.

التعريف بالمنهج الاشاري في التفسير

المنهج الإشاري : هو أحد المناهج القديمة في التفسير، وقد عرف بأسماء متنوعة، كالتفسير التأويلي، والباطني، والعرفاني، والصوفي، وكل من هذه الأسماء يشير إلى نوع خاص من التفسير، وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسّرين والمحقّقين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه، فهناك من ارتضى بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه واعتبره من التأويل والباطن.

وعُرِّف كذلك بأنه: تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة تظهر لأرباب الصفاء، مع عدم إبطال الظاهر.

حيث يقول الزرقاني: التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا.

ويقول الصابوني: التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممن نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة ، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.

إذن فالتفسير الإشاري يطلق على الإشارات الخفيّة الموجودة في آيات القرآن، والتّي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أي استخراج وفهم وتوضيح نكتة أو دلالة من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة.

فالتفسير الإشاري يشير بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا.

ويمكننا ان نخرج بتفسير شامل جامع الى حد ما فنقول:

التفسير الإشاري: هو تفسير يشير إلى التأملات التي تحصل عن طريق ما ينفتح في ذهن المُفسِّر العارف من الأمور اللطيفة التي لها ربط ومناسبة مع ظواهر الآيات القرآنية، غير أنّه يفُسِّر ويؤول على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي.

والتفسير بهذا المعنى : هو محاولة عقلية ذكية من حيث التعَمّق في معاني الآيات ، وما ينطبق منها على الأنفس والآفاق المرتبطة بالألفاظ وسياق الأسلوب.

كما في قوله تعالى: { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }.

والتفسير الإشاري يؤخذ به إذا كان هناك شاهد شرعي يؤيده وإنْ كان منافياً لظواهر النظم القرآني وأنْ لا يكون لـه معارض شرعي أو عقلي، وأنْ لا يدعي أنّه المراد وحده دون الظاهر.

آراء العلماء في التفسير الإشاري

اختلف العلماء في التفسير الإشاري، وتباينت فيه آراؤهم فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، ومنهم من عده من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من اعتبره زيغاً وضلالاً وانحرافاً عن دين الله تبارك وتعالى.

١- رأي ابن الصلاح: ينقل ابن الصلاح عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: (صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر) ثم يعقب على ذلك بقوله: (وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيء من أمثال ذلك أنه لم

يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية).

٢- رأي الإمام ابن تيمية أنه متى ما كان المعنى صحيحاً والدلالة ليست مرادة فقد يسمى ذلك إشارة وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير من هذا قطع.

٣- رأي الأستاذ محمد حسين الذهبي : يقرر الذهبي أن الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظاهر وباطن، ظاهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وباطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن، لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور، ويقول: وأما المعنى الباطن فلا يقف على جريانه على اللسان وحده بل لا بد فيه مع ذلك إلى نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمراً خارجاً عن مدلول اللفظ القرآني... أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه كما اعترفوا بباطنه ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنية تجاوزوا الضوابط لهذا المنهج ، فبينما تجد لهم أفهاماً مقبولةً تجد لهم بجوارها أفهاماً لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع، وهذا حال بعض المفسرين في المناهج الأخرى ممن خرجوا على الضوابط أو تساهلوا فيها.

والخلاصة أن مثل هذه التفاسير للقرآن الكريم قد تكون مزلة قدم لمن لا يعرف المقاصد ، فيقع الناس من ذلك في حيرة واختلاف، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافها ربما كذب بها أو أشكل عليه ومنهم من يكذبها على الإطلاق ويرى أنها تقول على الله وبهتان،

اتجاهات التفسير الإشاري

هناك اتجاهان في التفسير الإشاري عن الصوفية هما:

الاتجاه الأول التفسير النظري: وهو التفسير المبنى على نزعة فلسفية حيث تتوجه الآيات القرآنية لديهم وفق نظرياتهم وتتفق مع تعاليمهم. وقد سلك هذا الاتجاه في التفسير فلاسفة الصوفية، ويرى بعض العلماء ان أصحاب هذا المنهج يحولون القرآن عن هدفه ومقصده إلى ما يقصد هو ويرمي إليه، وغرضه بهذا كله أن يروج لما يريد على حساب القرآن، وأن اصحاب هذا الاتجاه غالبا ما يخرجون عن الشرع والعقل في تفسيرهم ولا يمكن أن ينضبط بشروط او قواعد تحدد مسلكه.

الاتجاه الثاني التفسير الخفي: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ولا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة. ويرى بعض العلماء أن هذا التفسير أو الاتجاه هو الاقرب للصواب من حيث الشرع والعقل اذا التزم فيه المفسر بضوابط وقواعد التفسير وشروط المفسر.

الفرق بين الاتجاهين في التفسير

وأما من جهة الفرق بين الاتجاه النظري والاتجاه الإشاري في أثرهما على تفسير القرآن فقد ذكر الشيخ محمد حسين الذهبي وجهين للتفريق هما :

١- أن الاتجاه الصوفي النظري ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن المفسر أولاً ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك . أما التفسير الخفي فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على رياضة روحية – يأخذ المفسر نفسه بها حتى يصل إلى درجة إيمانية تنكشف له فيها من سبل العبارات هذه الإشارات، وتتوالى على قلبه تحليل الآيات من المعاني الربانية.

٢- أن الاتجاه النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني ، وليس وراءه معنىً آخر تحمل عليه الآية . أما الاتجاه الخفي فلا يرى المفسر أنه كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنىً آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء ذلك المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.

أنواع الإشـارات :

ذكر العلماء أن الإشارات لا تعدو واحدةً من ثلاث :

الاشارة الأولى: ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلا (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس . ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية وسعى في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى ...

الاشارة الثانية: ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده والذي يجول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالى (من ذا الذي يشفع) من ذا ذي إشارة للنفس يصير من المقربين للشفعاء فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه واطلق عليها البعض الاشارة السماعية.

الاشارة الثالثة: عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتدبروه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى: (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) اقتبسوا أن القلب الذي لم يمتثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا.

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم في مدارج السالكين: ((الإشارات : هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بعد ، ومن وراء حجاب ، وهي تارة تكون من مسموع ، وتارة تكون من مرئي ، وتارة تكون من معقول، وقد تكون من الحواس كلها، فالإشارات : من جنس الأدلة والأعلام ، وسببها : صفاء يحصل بالجمعية فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكها).

وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عداها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويدا رويدا إلى أن تبلغ عين مقالاتهم.

ضوابط التفسير الاشاري

إن العلماء الذين جوزوا التفسير الإشاري وضعوا ضوابط له لكي يكون لوناً أو نوعاً من التفسير بالرأي المحمود ومن أهم هذه الضوابط:

١– ألا يكون التفسير منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم.

٢– أن يكون له شاهدٌ شرعيٌ يؤيده.

٣– ألا يكون له معارضٌ شرعيٌ أو عقليٌ.

٤– ألا يدعى أن هذا التفسير هو المراد وحده من الظاهر.

٥– ألا يكون التأويل بعيداً لا يحتمله اللفظ لما فيه من تلبيس على أفهام الناس.

فإذا توفرت هذه الضوابط ، وليس للتفسير ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية، جاز الأخذ به أو تركه، لأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليلٍ نظري، وإنما هو أمر يبعث على تنمية المشاعر وتحصيل مكارم الأخلاق، فيجده المفسر الصوفي من نفسه ويسرَّه بينه وبين ربه، فله أن يأخذ به أو يعمل بمقتضاه دون أن يلزم به أحداً من الناس.

شروط التفسير الإشاري

من خلال دراستنا لعصور التفسير وأنواعه فيما سبق نجد ان العلماء في تفسيرهم للقرآن الكريم يقومون على ثلاثة أصول :

الأصل الأول: تفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف.

الاصل الثاني: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون.

الأصل الثالث: تفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم.

وهذا كله لا بأس به بأربعة شرائط :

١– أن لا يناقض معنى الآية.

٢– وأن يكون معنىً صحيحاً في نفسه.

٣– وأن يكون في اللفظ إشعاراً به.

٤– وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباطٌ وتلازمٌ.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان تفسيراً واستنباطاً حسناً.

أشهر كتب التفسير الإشاري

من أشهر كتب التفسير الإشاري هي:

١- تفسير القرآن العظيم لأبي محمد سهل بن عبدالله التستري المتوفى سنة ٢٧٣هـ.

٢- حقائق التفسير لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي المتوفى سنة ٤١٢هـ.

٣- عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد روزبهان الشيرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ .

٤- التأويلات النجمية لنجم الدين داية وعلاء الدولة السمناني: ابتدأ تأليفه عبد الله بن محمد شاهاور الرازية المعروف بـ(داية) وتوفي قبل إكماله سنة ٦٥٤هـ، ثم اكمله من بعده علاء الدولة أحمد بن محمد السمناني المتوفى سنة ٧٣٦هـ.

٥- تأويلات القرآن المشهور بتفسير ابن عربي: وهو منسوب لابن عربي محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المولود بمرسية في الأندلس سنة ٥٦٠هـ والمتوفي في دمشق سنة ٦٣٨هـ.

ويرجح كثيرون أنه ليس من تأليف ابن عربي وإنما من تأليف أبي الغنائم عبدالرزاق الكاشاني السمرقندي، المتوفى سنة ٧٣٠هـ، ونسبه صاحبه لإبن عربي ليضمن له الذيوع والانتشار والقبول بين الناس.

٦- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي المتوفى سنة ١١٢٧هـ.

تطبيقات للتفسير الإشاري المردود والتفسير الإشاري المقبول

أمثلة التفسير الإشاري المردود

المثال الاول: في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قالوا ان المقصود واذكر اسم ربّك الّذي هو أنت، أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله.

المثال الثاني: قالوا إنّ ظواهر العبادات والجنّة والنار إشارات إلى أسرار المذهب وأشخاص معيّنين (رؤسائهم)، فقالوا إنّ المقصود من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والمسجد الحرام أشخاص معيّنين (أئمّة الباطنية) وإنّ معرفة الدِّين تكمن في معرفة ذلك الشخص.

أما الامثلة على التفسير الإشاري المقبول فهي:

المثال الأول: ورد في قصّة النبيّ يوسف عليه السلام أنّ إخوته وفي سبيل إحكام خطّتهم لإبعاد يوسف عن أبيه قالوا لأبيهم: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، ظاهر الآية يحكي عن حياة يوسف ومكر إخوته لإبعاده عن أبيه، في حين أنّ هناك عبرة يمكن استخلاصها من هذه القصّة وهي أنّ المخالفين لطريقة الهداية يحاولون أن يسرقوا أولادكم بحجّة اللعب والقضايا المادّية، فلا بدّ أن تحذروا من ذلك. وهذه المسألة يمكن تطبيقها في كلّ وقت بعد إلغاء الخصوصيات الزمانية والمكانية والأفراد المذكورين في القصّة، واستخراج قاعدة كلّية وعبرة تصلح للجميع.

المثال الثاني: في قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

أن هاتان الآيتان فيهما إشارة إلى دنو أجل الرسول صلى الله عليه وسلم.